جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين

المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء

مجلّة الدّراسات العربيّة والإسلاميّة

مجلة علمية محكّمة تصدر عن
جامعة شيخ أنتا جوب بدكار ~ السّنغال

السّنة الثالثة | العدد الثّالث

ديسمبر 2025

الإيداع القانوني: ISSN 2772-2252

إدارة المجلّة

المدير المسؤول

علي بدرا كانجي

رئيس جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

منسّق التحرير

د. عثمان انجوغو تياو

اللجنة الإدارية

د. أبابكر جوب

د. شيخ صمب

د. مصطفى لي

د. جيم درامي

الهيئة العلميّة

أ. د. أبوبكر الذهبي – لبنان

أ. د. أحمد عبد الكافي–الإمارات العربية المتحدة

أ. د. إلياس قويسيم – تونس

أ. د. جيم درامي – السنغال

أ. د. حسن بشير – السودان

أ. د. خالد الكندي – عمان

أ. د. سيدو خما – السنغال

أ. د. شيخ صمب – السنغال

أ. د. صالح انجاي – السّنغال

أ. د. عبد الرحيم برواكي– المغرب

أ. د. عثمان انجوغو تياو – السنغال

أ. د. لقمان يلماز – تركيا

أ. د. محمد مزياني – الجزائر

أ. دة. خلود النازل – العربيّة السّعوديّة

أ. دة. سهيلة سلطاني، الجزائر

أ. دة. عبادة هلال – الأردن

أ. دة. فاطمة سلامة – المغرب

أ. دة. نادية بن العزمية – المغرب

أ. دة. هناء علي – سوريا

الهيئة الاستشاريّة

أ. د. حسن حمزة – فرنسا / قطر

أ. د. حسين تال – السنغال

أ. د. خديم امباكي – السنغال

أ. د. مختار انجاي – السّنغال

أ. د. عليّ بدرا جاني – السّنغال

أ. د. ماغي انجاي – السّنغال

أ. د. مصطفى سوخنا – السّنغال

أ. د. محمد بونا تيميرا – السّنغال

أ. د. يعقوب سيدي – السنغال

أ. دة. آمنة انيانغ جين – السّنغال

أ. د. عبد الستار الهيتي – البحرين

أ. د. أحمد تيجاني جالو – السّنغال

أ. د. قاسم جاخاتي – السنغال

أهداف المجلّة

1. توحيد كلمة الجهات المتخصّصة باللّغة العربية في جامعة دكار خاصّة بأقسامها المختلفة، وتصنيف أعمال الدّارسين والباحثين في الجامعات والمؤسّسات السنغالية عامّة بفروعها العربيّة.
2. نشر الأبحاث العلميّة المحكّمة في اللّغة العربيّة وعلومها وآدابها، وفي الدّراسات الإسلاميّة والحضارة، وفي علوم التّربية ومناهج التّعليم.
3. تمثيل المجلّة مرآة للثّقافة العربيّة الإسلاميّة في غرب إفريقيا ورمزا للعلاقات الجامعيّة بين السّنغال والعالم العربيّ فما وراءه في سبيل التّعاون والتّبادل المشترك.

قواعد النّشر

ترحّب المجلّة بمشاركة الكتّاب الباحثين المتخصّصين، وتقوم بنشر الدّراسات الأصيلة والبحوث الرّصينة، وفقا لقواعد التسليم الآتية:

1. أن يكون البحث مبتكَرا أصيلا لم يُنشرْ سابقًا.
2. ألاّ يتجاوز عدد صفحات البحث 15.
3. أن يلتزم الباحث في كتابة النّص بخطّ (Traditional Arabic) بكثافة 16 في المتن و 12 في الهامش.
4. الهوامش في نهاية الصّفحة: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر، الصّفحة.
5. المصادر والمراجع في نهاية المقال: اسم المؤلف (اللّقب أولا)، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر.

6. أن يكون البحث متّسما بالعمق والأصالة وموثَّقا بالمصادر والمراجع، وفق أصول البحث العلميّ المتداوَلة.

7. تخضع المادّة المقدّمة للنّشر للتّحكيم العلميّ على نحو سرّيّ، وتعاد إلى الباحث عند حاجة إجراء التّعديلات اللاّزمة.

8. يمكن للباحث أن يكتب مقالته بالعربيّة أو الفرنسيّة مع تلخيص بإحدى اللّغتين.

9. البحوث المنشورة لا تعبّر عن رأي الجهة النّاشرة.

البريد الإلكتروني للمجلّة:

revue.rais@ucad.edu.sn

فهرس الموضوعات

تقديم	09
حوار المرأة في القرآن وأساليب الإقناع فيه	11
دة. بشرى عبد المجيد تاكفراست، كلّيّة اللّغة العربيّة، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب	
Le dialogue des femmes dans le Coran et les méthodes de persuasion qu'il contient Bouchra TAKAFRAST, Faculté de Langue Arabe, Université Cadi Ayad de Marrakech, Maroc	
دلالات لفظ "الولي": دراسة في معاجم اللغة وكتب التّفاسير والأعمال الصّوفية..	67
ذ. خادم امباكي شيخنا، جامعة ابن خلدون، إسطنبول، تركيا	
Les significations du terme « *Wali* » : Étude dans les dictionnaires, les livres d'exégèse et les ouvrages soufis Cheikhouna Khadim MBACKÉ, Université Ibn Khaldoun, Istanbul, Turquie	
إسهام كتاب "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني في التعريف بصحيح البخاري وفي التنويه به مع الرد على منتقديه	109
د. قاسم جخاتي، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La contribution du livre « Fatḥ Al-Bârî » d'Ibn Hajar Al-'Asqalânî dans la présentation et la promotion du *Ṣahih* Al-Bukhari, avec réponse à ses critiques Khassim DIAKHATÉ, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	
الوطن في شعر نزار قباني	147
ذة. ألي انجاي – أ.د. عثمان انجوغو تياو، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La *patrie* dans la poésie de Nizar Qabbani Oulèye NDIAYE - Ousmane Ndiogou THIAW, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	

193	**كتاب "ألف ليلة وليلة" بين التأثر والتأثير** ..... **د. مطهر يوسف بن ناصر، مؤسسة خبير للاستشارات التربوية، كنو – نيجيريا** **Le livre « Les Mille et Une Nuits » entre influence et impact** Mutahir Yusuf Naasir, Fondation *Khabîr* pour le conseil pédagogique, Kano, Nigéria
219	**أثر اللُّغة العربيَّة في الحفاظ على الثَّقافة الإسلاميَّة في السّنغال** ..... **د. أحمد سيك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **L'influence de la langue arabe dans la préservation de la culture islamique au Sénégal** Ameth SECK, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
253	**تدريس القواعد العربية في مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: صعوبات وحلول.** **د. شيخ صمب، كلية علوم وتكنولوجيا التربية والتكوين، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **Enseignement des règles arabes dans les programmes d'enseignement de la langue arabe aux locuteurs non-natifs : Difficultés et solutions** Cheikh SAMB, Faculté des Sciences et Technologies de l'Education et de la Formation, UCAD, Dakar / Sénégal
279	**الغيبة البحرية وأصداؤها الشعرية في قصائد الرعيل الأول من مريدي الشيخ أحمد بامبا** ..... **د. عبد الأحد لوح، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الشيخ أحمد الخديم / طوبى** ***L'exil maritime* et ses échos poétiques dans les poèmes de la première génération de disciples de Cheikh Ahmad Bamba** Abdoul Ahad LO, Faculté des Études islamiques et arabes, Université Cheikh Ahmadoul Khadim de Touba
309	**النبوة في قصيدة "أستودع الله ربي كعبة الله" للشيخ الحاج مالك سي التواوني (ت.1340هـ/1922م)** .....

	د. سيد جميل انيان، المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء – إيفان، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار **La *prophétie* dans le poème « Je confie à Dieu mon Seigneur, la Kaaba de Dieu » de Cheikh El Hadj Malick Sy de Tivaouane (1340 H/1922 J.-C.)** Seydi Diamil NIANE, Institut Fondamental d'Afrique Noire (IFAN), Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
335	**أثر الشعر الجاهلي في الشعر السنغالي العربي (الشيخ أحمد محمد جِيِيْ أنموذجا)**..... د. عمر الفاروق صو، جامعة منيسوتا، فرع السّنغال **L'influence de la poésie antéislamique sur la poésie sénégalaise d'expression arabe (L'exemple de Cheikh Ahmed Mouhamed DIEYE)** Oumar Farouh SOW, Université Minnesota, Section sénégalaise
357	**الشعراء السنغاليون ودعوتهم إلى العلم للنهوض بالمجتمع** ..... ذ. ممد آن، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال **Les poètes sénégalais et leur appel à la connaissance pour le progrès de la société** Mamadou HANN, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
391	**دينامية الاستعارة في توسيع آفاق المعنى: مقاربة تأويلية** ..... د. عبد الرحيم برواكي، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب **La dynamique des métaphores dans l'élargissement des horizons du sens : Une approche herméneutique** Abderrahim BEROUAGUI, Université Moulay Ismaïl de Meknès, Maroc

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، أفصح العرب والعجم، نبينا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرّ أقسام اللغة العربية أن يقدّم للقراء والباحثين الكرام العدد الثالث من مجلة الدراسات العربية والإسلامية لجامعة شيخ أنتا جوب بدكار، هذه المجلة العلمية التي تسعى إلى الإسهام في ترسيخ البحث الأكاديمي الرصين في مجالات اللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية بمختلف فروعها.

ويأتي هذا العدد مواصلا المسار العلمي الذي انتهجته المجلة منذ صدور عددها الأول، حيث تحرص هيئة التحرير على نشر بحوث أصيلة محكَّمة تتسم بالجدّة والمنهجية العلمية، وتتناول قضايا لغوية وأدبية وفكرية وحضارية تسهم في إثراء المعرفة وتعزيز التواصل العلمي بين الباحثين في العالم العربي والإسلامي وخارجه.

وقد ضمّ هذا العدد مجموعة من الدراسات والبحوث التي أعدّها ثلّة من الباحثين المتخصصين من داخل السنغال وخارجها، تناولت موضوعات متنوعة في مجالات اللسانيات، والنقد الأدبي، والدراسات القرآنية والحديثية، والفكر الإسلامي، والفلسفة العامة، وغيرها من القضايا التي تعكس حيوية البحث العلمي في هذه الحقول المعرفية.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للباحثين الذين أسهموا بأعمالهم العلمية في هذا العدد، كما نشكر السادة المحكّمين على جهودهم العلمية القيّمة، التي كان لها الأثر الكبير في الارتقاء بمستوى البحوث المنشورة، كما نتوجه بالشكر إلى إدارة الجامعة وكلياتنا المعنية لدعمهم إصدار هذه المجلة.

وإننا نأمل أن يسهم هذا العدد في خدمة البحث العلمي، وأن يكون إضافةً نافعةً للمكتبة العربية والإسلامية، ومنبرًا علميًا يجمع الباحثين ويعزز الحوار المعرفي الرصين.

والله نسأل التوفيق والسداد

المنسق

أ. د. عثمان انجوغو تياو

إسهام كتاب "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني في التعريف بصحيح البخاري وفي التنويه به مع الرد على منتقديه

أ.د. قاسم جاخاتي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال

Résumé

Le sujet de notre article porte sur l'ouvrage d'Ibn Ḥağar al-'Asqalānī intitulé Fatḥ al-Bārī bi šarḥ Ṣaḥīḥ Al-Buḫārī qui est considéré comme l'un des plus importants livres écrits en matière de hadith en général et dans le domaine des commentaires relatifs aux recueils de hadiths authentiques écrits par Ṣaḥīḥ Al-Buḫārī en particulier. Nous avons tenté d'analyser, dans cet article, les raisons qui ont poussé Ibn Ḥağar à écrire son commentaire, en nous focalisant sur le contexte de son élaboration, sur ses motivations, ainsi que sur sa problématique, sa méthode et son plan. Nous y avons examiné les axes de ses différentes parties qui tournent essentiellement autour de la méthode de l'ouvrage de Ṣaḥīḥ Al-Buḫārī, de son style, de même que des techniques et normes qu'il appliqua pour authentifier son originalité et magnifier ses différentes qualités.

المقدمة

يُعتبر كتابُ "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ، في القرن 15 م، في مجال الحديث النبوي عامة وفي شرح كتاب "صحيح البخاري" خاصة. وسنقدم في الجزء الأول من هذا البحث نبذة عن حياة مؤلفه المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ/1449م. أمّا صحيح البخاري فعبارة عن سِفْر مُكرَّس للحديث الصحيح، ألَّفه الإمامُ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ/870م) في أَوْج الرُّقي الحضاري والعلمي للعصر العباسي، وازدهار علومه العقلية والنقلية. وقد بلغ علمُ الحديث في تلك الفترة مرحلةً متقدمة في التطور والتكوُّن. وفي هذا السياق أبدى الإمام البخاري رغبة تأليف صحيحه؛ وعلَّل ذلك بأنه "قد سمع مرة من أستاذه، أمير المؤمنين في الحديث، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، يقول لتلاميذه: "لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلعم". فوقع ذلك في قلبي فأخذتُ في "جمع الجامع

الصحيح""[1]. سعى الإمامُ البخاري منذ ذلك الحين إلى رفع تحديات تحقيق مشروعه الكبير وحلِّ إشكالياته، واستعان بحفظه الواسع العجيب للحديث، وبمعرفته العميقة لخباياه، وبآلياتٍ منهجية فعالة، واجْتَهدَ في تطبيق قوانين علم الحديث[2] المتعلقة **بمَتْنِه**[3] **وسَنَدِه**[4]، مع وضع شرط خاصّ لذلك وقواعد معينة له، مع تقسيم صحيحه إلى **أبواب** تحتوي **عناوين** ترشد قارئ "صحيح البخاري" إلى نوع الحديث الذي يبحث عنه بيسر وسرعة، كما تُمكِّنه من إيراد أحاديث معلقة وآثار موقوفة وآيات قرآنية، على الرغم من كون ذلك غير مطابق للمواصفات التي وضعها لتصنيف "الجامع الصحيح".

---

[1]- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، هدي الساري مقدمة فتح الباري، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2013، ج1، ص 8-9.

[2]- عرّف السيوطي جلال الدين "علم الحديث " وموضوعه والمقصود منه بالأبيات التالية:

علم الحديث ذو قوانين تُحَدْ يُدرى بها أحوال متن وسندْ

فذانك الموضوع، والمقصود أن يُعرف المقبول والمردود

انظر: السيوطي جلال الدين والترمسي الشيخ محمد محفوظ، منهج ذوي النظر، شرح منظومة علم الأثر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 7.

[3]- عرَّف السيوطي جلال الدين المتن بما يلي: "والمتن ما انتهى إليه السند من الكلام..."؛ أي الجانب الذي وقع فيه متن الحديث الذي استخرجه الراوي بسنده. المرجع السابق، ص 7-8.

[4]- وعرف السيوطي السند بالبيت التالي:

والسند الإخبار عن طريق متن كالاسناد لدى الفريق

وهو رفع فريق من رواة الحديث متنَ الحديث إلى قائله. المرجع السابق، ص 8.

وتدلُّ الدلائل على أن الإمام البخاري حقَّق في ذلك نجاحا ملموسا، وعلى أنه لم يُدخل في كتابه الجامع إلا ما صحّ، بالسند المتصل الذي توفّرت في رجاله العدالةُ والدقة في الضبط، وقد خرّجه من ستمائة ألف حديث.[5] بيد أن علم الحديث تَطَوَّر بسرعة، وتنوَّعت معارفُه وأصبح تراثُه عظيما ومرتبطا بالعلوم والثقافات الوافدة. وقد ترتَّبت على ذلك عدةُ انعكاسات على صحيح البخاري، بعضُها سلبية وأخرى إيجابية، استقطبت اهتمامَ كوكبة من علماء الحديث الأجلاء، من أبرزهم الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي أَلَّفَ "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، لدرء أضرار السلبيات المذكورة وتسليط الضوء على ما في "صحيح البخاري" من معارف وقيم، وتوضيح طرق الاستفادة منه والدفاع عنه والرد على منتقديه. وقد استعان الحافظ ابن حجر من الإنجازات التي حقَّقها أسلافُه في هذا المجال؛ وخاصة "شرح الجامع الصحيح للبخاري" لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي، المتوفى عام 449 هـ الموافق 1057م، و"التلويح إلى شرح

[5]– العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، هدي الساري مقدمة فتح الباري، المصدر السابق، ص 8-21.

الجامع الصحيح" لعلاء الدين مُغْلَطَاي بن قليج المصري، "والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح" لبدر الدين الزركشي الذي استفاد كثيرا من كتابه[6]. سنعالج في بحثنا إشكالية إسهام الحافظ ابن حجر في هذا المجال، وأسباب شهرة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، والجهد الذي بذله في شرح المسائل المتعلقة بطبقات الرواة، وأسانيده التي ساقها "مساق الأنساب"، مع إرجاعها إلى أصلها عن طريق السماع أو الإجازة، على نمط مخترع، حسب تعبيره[7]. وسنحاول إبراز نقاط القوة والضعف في ذلك كله. وسنستعمل المنهج الوصفي التحليلي، مستعينا به في كشف حقائقه، وأبعاده وخصائصه، مع تحديدها وتوضيحها قدر الإمكان. وتتألف خطة البحث بالعناصر الأساسية التالية: 1-مولد الحافظ ابن حجر ونشأته وتكوينه؛ 2-أسباب وظروف تصنيفه شرح "فتح الباري"؛ 3-منهجه في شرح "فتح الباري"؛ 4-خطة الحافظ ابن حجر في شرح فتح الباري؛ 5-مراحل تدوين الحديث من بدايته إلى عصر الإمام البخاري؛ 6-أسباب

---

[6]- المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص 53-55.

[7]- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2013، ج1، ص 5.

تصنيف الجامع الصحيح للإمام البخاري؛ 7- موضوع "الجامع الصحيح" ومفهومه وأسلوبه؛ 8-التنويه بصحيح البخاري والثناء عليه؛ 9-أطوار وأصناف تراجم صحيح الإمام البخاري؛ 10-التعريف بشرط الإمام البخاري ونقد رأي الحاكم؛ 11-ضوابط تطبيق شرط الإمام البخاري؛ 12-أنواع تراجم صحيح الإمام البخاري وفوائدها؛ 13-طرق الاستنباط والاستدلال في تراجم صحيح البخاري؛ 14-أسباب تقطيع الحديث واختصاره وفائدته في صحيح البخاري.

1- مولد الحافظ ابن حجر ونشأته وتكوينه وغزارة علمه

وُلد الحافظ ابن حجر في 22 من شعبان 773هـ/27 فبراير 1372م على شاطئ النيل بمصر في العصر المملوكي، وعاش في القاهرة. نشأ يتيما وتربّى في كنف أوصيائه وتعلّم حتى تبحّر في علوم عصره، وزار بلاد اليمن والحجاز والشام واستفاد من علماء تلك الأقطار أكبر استفادة[8].

[8]- عبد الستار الشيخ، الحافظ ابن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث، دار القلم، دمشق، 1992، ط1، ص 67.

نقل تلميذُه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الذي أصبح من أكبر علماء عصره، من خط يد أستاذِ ابن حجر، أي الحافظ عبد الرحمن العراقي، شهادةً تدلُّ على غزارة علم تلميذه وتنوعه، وعلى حسن خلقه وسمو منزلته ومعرفته الدقيقة لجميع رواة الحديث وشيوخه، وتمييزه بين الناسخ والمنسوخ، وبين الثقات والضعفاء من الرجال. وأكد أستاذُه بأنه انخرط في سلك أهل الحديث في فترة قصيرة نسبيا بفضل مجهوده واجتهاده، "وحصل في الزمن اليسير على علم غزير. وقرأ عليَّ الألفية المسماة بـ "التبصرة والتذكرة" من نظمي، وقرأ عليّ جمع شرحي عليها قراءة بحث وتأمُّل ونظر وتعقّل، في مجالس آخرها في العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة. وقرأ عليَّ "النُّكت" التي ألفتُها على "علوم الحديث" للإمام أبي عمرو بن الصلاح رحمة الله عليه، في مجالس آخرها في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وقرأ عليَّ عدة أجزاء من "العوالي"، وكتب عني عدة مجالس من "الأمالي" باستملائه". **وأجزتُ له** أن يروي ذلك عني، ويُقرئ "الألفية" و"الشرح" عليها، و"النكت" المذكورة،

ويفيدها لمن أراد، ويُقرئ كُتبَ الحديث، وعلومَ الحديث. وأذنتُ له أن يَرْوِيَ ذلك، ويُلقيَ بذلك الدروس الحديثيّة، ويروي عني جميع مؤلَّفاتي ومروياتي".[9]

وذكر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي بعد ذلك شهادات علماء في تخصصات مختلفة تؤكد تبحر الحافظ ابن حجر فيها. ومن ذلك عبارته التالية: "وقد انتهتْ إليه رئاسةُ العلم في عصره، واشتهر في الآفاق، وانعقد على حفظه وفضله الاتفاقُ، نَوَّه غيرُ واحد من المشايخ الأكابر بذكره بالثناء الجميل". "وله جملة تصانيف تزيد على المائة، غاية في الإجادة. وشِعْرُه كثير"[10].

توفي الحافظ ابن حجر العسقلاني في 18 ذي الحجة 852 هـ/ 12 فبراير 1449م. وأخبر شمس الدين السخاوي الذين كان من مشيّعي جنازته بأنه "اجْتَمَعَ في جنازته مِنَ الخَلْقِ مَنْ لا يحصيهم إلا الله عز وجل، بحيث ما أظن كَبِيرَ أَحَدٍ مِنْ سَائِرِ الناس تَخَلَّفَ عَنْ شُهُودِهَا.

---

[9]- السخاوي محمد بن عبد الرحمن، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1999، ج1، ص 270-271.

[10]- السخاوي محمد بن عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 3، ص 330-334.

وقُفِلَتِ الأسواقُ والدَّكَاكينُ، ويُقال: إنه حُزِرَ مَنْ مَشَى في جَنَازَتِه بنحو خمسين ألف إنسان، وعِنْدِي أَنَّه لا يَتَهَيَّأُ حَصْرُهُمْ، ولا يُدْرَكُ حَدُّهُم". وكان أميرُ المؤمنين الخليفة العباسي في مقدمة الموكب الجنائزي المهيب.[11]

2- أسباب وظروف تصنيف الحافظ ابن حجر شرحَ "فتح الباري"

أخبر الحافظ ابن حجر بأن أسباب تأليفه لشرحه ترجع إلى أن كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلعم يُشكِّلان مِحورَ العلوم الشرعية؛ وأن البخاري جمع في صحيحه من كنوز الكتاب والسنة الثمينة ما جعله يُحرز قَصَبَ السَّبْق في هذا الفن، ويُحقِّق نجاحا غير مسبوق في مجال التأليف فيه، وأفاد بأن الهدف الذي أراد تحقيقه من شرحه لصحيح البخاري هو إطلاق الضوء على القيمة الرفيعة للكتاب، وشرح فوائده، وتوضيح مقاصده، وكشف مغزاه وتحديد وتبيين عجائب الكتاب وما فيه من غرائب ونوادر. يَعتَبر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي شرحَ الحافظ ابن حجر العسقلاني لصحيح

[11]- المصدر السابق، ص 1193 – 1195.

البخاري "أجلّ تصانيفه مطلقا، وأنفعها للطالب مغربا ومشرقا، وأجلّها قدرا، وأشهرها ذكرا". وأضاف بأن الحافظ ابن حجر بدأ في تأليف شرحه في أوائل سنة سبع عشر وثمانمائة (817هـ/ 1415م) عن طريق الإملاء وانتهى من تأليفه في أول يوم من شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة 842هـ/1438م وكان ذلك قبل وفاته بقليل. وأوضح شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي بأن الحافظ ابن حجر أَلَّفَ مُقدِّمةً لشرحه سمَّاه "هدي الساري" "في مجلد ضخم أو مجلدين، كملت في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، تشمل على جميع مقاصد الشرح سوى الاستنباط".[12]

أكَّد شمس الدين السخاوي وعبد الستار الشيخ بأن الحافظ ابن حجر اعتنى بصحيح البخاري ما لم يعتن بغيره من الكتب، وبيّن بأنه قد أحاط بالصحيح رواية ودراية، وأصبح عارفا بكل دقائقه، حتى أصبح-بحق-قيِّمَ صحيح البخاري، وفَكَّاكَ طلسماته، وحلاّل غوامضه، وكشَّاف خفاياه، ومظهر فوائده وكنوزه وخباياه. "ولذا فإن الحافظ يُعتبر أبرز من كشف عن حقائق "صحيح

[12]- المصدر السابق، ج1، ص675-676.

البخاري"، وأفنى حياته وكرّس جهوده لخدمة هذا الكتاب الجليل" الذي بدأ في تصنيفه على طريق الإملاء ثم صار يكتب بخط يده، ثم أسهمت في الكتابة والمراجعة والتدقيق جماعةٌ من الأئمة المرموقين، ولم ينته منه إلا قبيل وفاته بأعوام. واهتم بفتح الباري لشرح البخاري علماءُ العالم الإسلامي وحُكامه. ولما أَكمل الإمام بن حجر تأليفَ "فتح الباري" أقام، تكريما للمناسبة، وليمة عظيمة في يوم السبت 8 شعبان سنة 842 هـ/23 يناير 1439م، "وكان يوما مشهودا لم يعهد أهلُ العصر مثله بمحضر من العلماء والرؤساء والفضلاء وغيرهم".[13]

3- منهج الحافظ ابن حجر في شرح "فتح الباري"

تنحصر القواعد المنهجية التي طبقها الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري في العناصر الأساسية التالية:

[13]- السخاوي محمد بن عبد الرحمن، الجواهر والدرر، المصدر السابق، ج2، ص 699-703. عبد الستار الشيخ، الحافظ ابن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث، المصدر السابق، ص 587-590.

أولا- في إيلاء اهتمامه بباب حديث معين في صحيح البخاري، ثم توضيح وجه المناسبة الموجودة بين **الحديث وبابه**. وذلك إذا تبيَّن له أن **المواءمة خفية** بينهما لا تظهر للقارئ غير المتخصص في الموضوع.

ثانيا- في استخراجه **الغرضَ الصحيح** المتعلق بالحديث، وإبراز فوائده التي لها صلة **بالمتن** و**الإسناد،** مع توضيح ما فيها من تتمات وزيادات، وكشف ما فيه من غموض وتحديد من هو **مُدلِّسٌ** عن طريق السماع، ومتابعة سامعٍ من شيخ اختلط قبل ذلك. وأكّد الحافظ ابن حجر بأنه أنجز ذلك كله معتمدا على نصوص أمهات المسانيد والجوامع في الحديث، وكذلك مستخرجاته أجزاؤه وفوائده، مع الالتزام بشرط الصحة أو الحسن في جميع ما أورده.

ثالثا- بوصل ما انقطع من **معلقات** صحيح البخاري و**موقوفاته؛** الأمر الذي يُؤدي إلى التئام شوارد الفوائد وتنظيم شوارد الفرائد.

رابعا- في ضبط الأسماء والأوصاف الغامضة في صحيح البخاري مع توضيح معاني ألفاظه اللغوية والتنبيه على النكت البيانية التي يتضمنها.

خامسا- في إيراد الفوائد التي تَمّ جنيُها من كلام الأئمة من الأحكام الفقهية والمواعظ الزهدية والآداب المرعية التي استنبطوها من الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، "مختصرا على الراجح من ذلك، مُتحرِّيا للواضح دون المستغلق في تلك المسالك، مع الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التعارض مع غيره؛ والتنصيص على الناسخ بناسخه، والعامّ بمخصّصه، والمطلق بمُقيّده، والمجمل بمُبيّنه، والظاهر بمؤوَّله، والإشارة إلى نُكتٍ من القواعد الأصولية، ونُبَذ من فوائد العربية، ونُخَبٍ من الخلافيات المذهبية بحسب ما اتصل بي من كلام الأئمة، واتسع له فهمي من المقاصد المهمة".[14]

وأكّد الحافظ ابن حجر بكونه حريصا على مراعاة الأسلوب المذكور في شرحه لكل باب من أبواب "فتح الباري". وأوضح بأنه إذا سبق أن عالج متنا في باب معين ووجد المتن نفسه في باب آخر، فإنه سيكتفي بالإشارة إلى المتن الذي عالجه في موضع آخر، ولا يعيد ذكر محتوى ما عالجه سلفا. وإذا طرأ تغيّرٌ في لفظ أو

[14]- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، هدي الساري مقدمة فتح الباري، المصدر السابق، ج 1، ص 5-6.

معنى المتن اللاحق فإنه ينبّه على الموضع الذي حدث فيه تغيّرٌ بصفة خاصة.[15]

4- خطة الحافظ ابن حجر في شرح فتح الباري

وضع الحافظ ابن حجر خطة لتطبيق منهجه في شرح صحيح الإمام البخاري تتضمن الفصول التالية:

أ- في الفصل الأول أوضح الإمام ابن الحجر الأسباب التي دفعت الإمام البخاري إلى تأليف "جامعه"، وأخبر بأن آثار النبي صلعم لم تكن مدونة ولا مجموعة في كتب في عصره صلعم وفي زمن الصحابة والتابعين، لِوُرود نصّ حديث في صحيح مسلم ينهى عن ذلك خوفا من أن يؤدي تدوينُ الحديث إلى اختلاطه بالقرآن العظيم[16]؛ ولأن الرواية الشفوية كانت الوسيلة المستعملة

---

[15]- المصدر السابق.

[16]- يشير إلى حديث رواه أبو سعيد الخُدْري، أن رسول الله صلعم قال: "لا تَكْتُبُوا عَنّي، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمْحُه، وحَدّثُوا عنّي، ولا حرج، ومن كذب عليّ، قال هَمّامٌ، أحْسِبُهُ قال: مُتعمّدًا، فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار". انظر مسلم بن الحَجّاج، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، 1427هـ/2006م، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث: 3004، ص 1366.

لنقل معارف مجتمع ذلك العهد، وحفظِها وتداولِها. وكانت ظاهرةُ الأمية متفشية أيضا في أوساطه.[17]

ب- أوضح، في الفصل الثاني، موضوع صحيح البخاري ومقصده، وشروطه، وأتى بأدلة تؤكد بأنه من أصح الكتب التي صُنفت في الحديث النبوي، وأشاد بتراجمه البديعة التي ليس لها نظير في اعتقاده.[18]

ت- أوضح الإمام ابن حجر، في الفصل الثالث، الحكمةَ في تقطيع الحديث واختصاره في صحيح البخاري والفوائد الكامنة وراء تكراره للحديث.[19]

ث- بيّن في الفصل الرابع سبب إيراد الإمام البخاري في صحيحه أحاديث معلقة وآثارا موقوفة على الرغم من كون ذلك غير مطابق لموضوع الكتاب،

17- ومما يدل على تفشي ظاهرة الأمية وهيمنة التعبير الشفوي في تداول المعلومات في صدر الإسلام، ما ورد في كتاب "فتوح البلدان" من أن الإسلام دخل (في مكة) "وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب"، أي: يعرفون القراءة والكتابة. انظر: البلاذري أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص 660.

18- المصدر السابق، ص 7-10.

19- المصدر السابق، ص 10-25.

وأَلْحَقَ في هذا الفصل سياقَ الأحاديث المعلقة مع الإشارة لمن وصلها على سبيل الاختصار.[20]

ج- في الفصل الخامس، قام الإمام ابن حجر بضبط الغريب الواقع في متون صحيح البخاري مع وضع ترتيب له حسب حروف المعجم، بالإضافة إلى تلخيص عباراته وإشاراته؛ الأمر الذي يجعل مراجعة ذلك سهلا ويسيرا.[21]

ح- في الفصل السادس، وضع الإمام ابن حجر بيانا خاصا للمؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب والأنساب الموجودة في صحيح البخاري ولها علاقة بمن له ذكرٌ فيه أو رواية، مع ضبط الأسماء المفردة فيه وترتيبها حسب الحروف الأبجدية.[22]

خ- في الفصل السابع، بيّن فيه الحافظ ابن حجر الأسماء المهملة التي يكثر اشتراكها، كذكر الإمام البخاري الاسمَ مجردا عن نسبه، الأمر الذي يسبب لبسا يؤدي إلى عدم معرفة الشخص المقصود بذلك بالضبط؛

---

[20]- المصدر السابق، ص 29-144.

[21]- المصدر السابق، ص 151-460.

[22]- المصدر السابق، ص 463-479.

مثل ذكره راويا اسمه أحمد مجردا عن نسبه، يقوم الإمام ابن حجر، في هذه الحالة، بالبحث عن نسبه ويضيفه إليه ليُميزه به عن جميع من لهم الاسم نفسه، ويزول اللبسُ بذلك.[23]

د- في الفصل الثامن، تصدَّى الحافظ ابن حجر للرد على الانتقادات التي وجّهها الحافظ أبو الحسن الدارقُطني وغيره من علماء الحديث للإمام البخاري.[24]

ذ- في الفصل التاسع، عالج الإمام ابن حجر موضوعَ أسماء مَنْ تمّ الطعنُ فيه من رجال صحيح البخاري، ورتَّبها حسب الحروف الأبجدية، وردّ على اعتراضات النقاد في مواضعها المختلفة، وميّز من أخرج له منهم في الأصول أو في المتابعات والاستشهادات، بشكل مفصل.[25]

ر- في الفصل العاشر، عالج الحافظ ابن حجر موضوع عدِّ أحاديث صحيح البخاري، وذكر مناسبة ترتيب تعداد الأحاديث الواردة في كل باب؛ الأمر الذي

---

[23]- المصدر السابق، ج2، ص 5-60.

[24]- المصدر السابق، ج2، ص 277-339.

[25]- المصدر السابق، ج2، ص 343-494.

سهَّل ضبط الأحاديث المكررة في الكتاب. ذَكر الإمامُ ابن حجر بأنه اقتبس ذلك من الحافظ أبي زكرياء النووي (ت 676هـ/1277م)، ومن الشيخ أبي حفص عمر البُلقيني (ت 1403/805). وأخبر بأنه رتّب في هذا الفصل أسماء الصحابة حسب الحروف الأبجدية، كما حدّد فيه عدد الحديث الذي رواه كلُّ واحد منهم. ثمّ وضع الإمامُ ابن حجر، في خاتمة خطته، ترجمة للإمام البخاري تضمنت خصائصه، ومآثره، ومناقبه.[26]

5- مراحل تدوين الحديث من بدايته إلى عصر الإمام البخاري

قدَّم الإمام ابن حجر تحليلا خاصا لمراحل تطوّر تدوين الحديث، وحدّدَ نقطة انطلاقه في أواخر عصر التابعين الذي وصفه بعصر انتشار علماء الأمصار وكثرة الابتداع من فرق الخوارج والروافض ومنكري الأقدار. واعتبر الربيع بن صَبيح (ت 160هـ/777م)، وسعيد بن أبي عروبة (ت 157هـ/774م) وغيرهما رُوادَ جَمْعِ الحديث وتبويبه في تلك الفترة. وبيّن بأن

[26]- المصدر السابق، ج2، ص 503-556.

جامعي الحديث من أهل الطبقة الثالثة اهتموا بتدوين الأحكام. وذكر منهم الإمام مالك (ت 179هـ/795م)، مصنّف كتاب "الموطأ"، وأفاد بأنه جمع فيه "القَويَّ من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة، وفتاوي التابعين ومن بعدهم". وذكر من أهل هذه الطبقة أسماء أبي محمد عبد الملك بن عبد العزيز المشهور بابن جُرَيج المكيّ(ت150هـ/768م)؛ وأبي عمرو عبد الرحمن بن عَمرو الأوزاعي الشامي (ت 157هـ/774م؛ وأبي عبد الله سفيان الثوري الكوفي (ت 161هـ/778م)؛ وأبي سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت 167هـ/784م). وأخبر الإمام ابن حجر، بعد ذلك، بأن كثيرا من معاصري هؤلاء نسجوا على منوالهم في تصنيفهم للحديث، واستمر الوضعُ على ما هو عليه إلى أن رأى بعضُ الأئمة على رأس المئتين أن **يُفرد** حديث النبي صلعم خاصة، فصنَّف عبد الله بن موسى العَبسي الكوفي (ت 213هـ/829م) مسندا، وصنّف أسد بن موسى الأموي (ت 212هـ/827م) مسندًا، وصنّف نُعيم بن حَمّاد الخُزاعي (ت 228هـ/843م) نزيل مصر مسندا. واستمر الأمر على هذه الوتيرة إلى عصر الإمام

محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ/870م) الذي صنّف فيه أئمةٌ من حفاظ الحديث مسانيدهم؛ كالإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ/855م)، وإسحاق بن راهويه (ت 238هـ/853م)، وعثمان بن أبي شيبة (ت 238هـ/853) وغيرهم. ومن هؤلاء مَنْ جَمَعَ التصنيفَ على الأبواب والمسانيد معا كأبي بكر بن أبي شيبة (ت 235هـ/849م).[27]

6- أسباب تصنيف الجامع الصحيح للإمام البخاري

أخبر الحافظ ابن حجر بأن الإمام البخاري وقف على جميع تصانيف الحديث التي ألَّفها أسلافُه واستوعب محتواها، وعقد العزمَ على سدّ النقائص التي لاحظها فيها، وأضاف بأن الذي "قَوَّى عزمه على ذلك" هو "ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، المعروف بابن رهويه"، حينما اجتمع بطلابه وقال لهم: "لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة النبي صلعم". وكان لطلب أمير المؤمنين في الحديث تأثير قوي في قلب طالبه النجيب البخاري،

[27]– العسقلاني ابن حجر، هدي الساري، مقدمة فتح الباري بشرح صحيح الباري، المصدر السابق ج1، ص7-8.

وبدأ فورا يعدُّ العُدَّةَ لتحقيق حلم أستاذه. وعبّر عن شعوره بالدقة في كلماته التالية: "فوقع ذلك في قلبي، فأخذتُ في جمع "الجامع الصحيح". وهناك عاملٌ آخر كان له تأثير مباشر في القرار الذي اتخذه الإمامُ البخاري لتصنيف صحيحه رواه الحافظ ابن حجر "بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت البخاري يقول: "رأيت النبي صلعم وكأنني واقفٌ بين يديه، وبيدي مِرْوَحَة، أَذُبُّ بها عنه، فسألت بعضَ المُعَبِّرين (أي المفسّرين للرؤيا)، فقال لي: "أنت تذبُّ عنه الكذب". فهو الذي حملني على إخراج "الجامع الصحيح"". تجدر الإشارةُ إلى حرص الإمام ابن حجر الشديد في إسناد المعلومات التي ينقلها في كتابه؛ الأمر الذي جعله يعتمد، في تحليله وتوضيحه للظروف التاريخية والعلمية المتعلقة بتصنيف الإمام البخاري لصحيحه، على سند متصل إلى الإمام البخاري نفسه.[28]

[28]- المصدر السابق، ص 8.

7- موضوع "الجامع الصحيح" ومفهومه وأسلوبه

تَطـرَّق الإمـام ابـن حجـر إلـى موضـوع **صـحيح البخـاري** وأخبـر بأنـه لـم يـورد فيـه إلا الحـديث الصـحيح وبـأن السـبب فـي تسـميته إيـاه "الجـامع الصـحيح المسـند مـن حـديث رسـول الله صـلعم وسـننه وأيامـه"، يعـود إلـى ذلـك. وبـيّن بأنـه مـأخوذ "ومسـتفاد مـن تسـميته إيـاه"؛ أي "الجـامع الصـحيح المسـند مـن حـديث رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وسُـنَنَه وأيامـه".[29] ونسـب الحـافظ ابـن حجـر إلـى الشـيخ محيـي الـدين النـووي قـولا مفـاده "**لـيس مقصـود البخـاري الاقتصـار علـى الأحاديـث فقـط، بـل مـراده الاسـتنباط منهـا والاسـتدلال لأبـواب أرادهـا؛ ولهـذا المعنـى أخلـى كثيـرا مـن الأبـواب عـن إسـناد الحـديث، واقتصـر فيـه علـى قولـه: "فيـه فـلان عـن النبـي صـلعم، أو نحـو ذلـك**". وأشـار الحـافظ بـن حجـر إلـى أن الإمـام البخـاري لـم يقـم، للسـبب نفسـه، بإسـناد الأحاديـث التـي أوردهـا فـي أبـواب كثيـرة، بـل اكتفـي فيهـا بـالقول: "فيـه فـلان عـن النبـي صـلعم، أو نحـو ذلـك، وقـد يـذكر المـتن بغيـر إسـناد، وقـد يُـورده معلقـا". وبَـرَّر الحـافظ ابـن حجـر ذكـر الإمـام البخـاري أحاديـث دون إسـناد بأنـه

---

[29]- المصدر السابق، ص11.

"إنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي تَرْجَم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدّم (ذكره) وربَّمَا تقدَّم (ذكره) قريبا". وذكر الحافظ ابن حجر بأن في كثير من أبواب صحيح البخاري مجموعة من الأحاديث "في بعضها حديث الواحد وفي البعض الآخر آيات قرآنية، وفي البعض الآخر، لم يرد ذكرُ شيء من ذلك. وأَخبَر بأن هذا الأمر أثار تساؤلات وشكوكا حول تَقَيُّد الإمام البخاري بمنهج وشروط التأليف اللذين أعلن بأنه يلتزم بهما في صحيحه. واستشهد الحافظ ابن حجر بإجابة الإمام أبي الوليد الباجي على تلك التساؤلات، في مُقدّمة كتابٍ أَلَّفه وعَالجَ فيه موضوعَ "أسماء رجال البخاري" وبيَّن فيه بأنه نَقَلَ من الحافظ أبي ذَرّ عبد الرحيم بن أحمد الهَروي، قولَ الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي، أحد نساخ صحيح البخاري، قوله التالي: "انتسختُ كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه، محمد بن يوسف الفِرَبري، فرأيتُ فيه أشياء لم تتم، وأشياء مُبَيَّضة، منها تراجم، لم يُثبت بعدها شيئا، ومنها أحاديث، لم يُترجم لها. فأضفنا بعض ذلك إلى بعض". وأضاف الإمام الباجي بأن "مما يدل

علـى صـحة هـذا القـول أن روايـة أبـي إسـحاق المسـتملي وروايـة أبـي محمـد السرخسـي، وروايـة أبـي الهيـثم الكُشْـمِيهَني، وروايـة أبـي زيـد المـروزي مختلفـة بالتقـديم والتـأخير، مـع أنهـم انتسـخوا مـن أصـل واحـد، وإنمـا ذلـك بحسـب مـا قَـدَّر كُـلُّ واحـد منهم فيمـا كـان فـي طُـرَّة أو رُقعـة مضـافة أنـه مـن موضـع مـا، فأضـافه إليـه، ويُبـيِّن ذلـك أنـك تجـد تـرجمتين وأكثـر مـن ذلـك متصـلة لـيس بينهـا أحاديـث. وخَلُـص الحـافظ ابـن حجـر إلـى القـول بـأن تصـرف هـؤلاء النسـاخ يُعتبـر "قاعـدة يفـزع إليهـا حيـث يتعسـر وجـهُ الجمـع بـين الترجمـة والحـديث، وهـي مواضـع قليلـة جـدا...".[30] أبـدى أحمـد بـن محمـد القسـطلاني، فـي شـرحه لصـحيح البخـاري، تَحَفظُّـاتٍ حـول التوضـيحات والتبريـرات التـي قـدَّمها الإمـامُ البـاجي، وأكَّـد بـأن "هـذا الـذي قالـه البـاجيُّ فيـه نظـرٌ؛ مـن حيـث أن الكتـاب قُـرئَ علـى مؤلفـه، ولا ريـب أنـه لـم يُقـرَأ عليـه إلاّ مرتَّبـاً مبوَّبـاً، فـالعبرة بالرّوايـة، لا بالْمُسَوَّدة التي ذَكَرَ صفتها".[31]

---

[30]– المصدر السابق، ص11-12.

[31]– القسطلاني أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، 2021، ط1، المجلد الأول، ص 266.

8- التنويه بصحيح البخاري والثناء عليه

حرص الحافظ ابن حجر، في معرض حديثه عن أسبقيّة صحيح البخاري ومكانته، على ذكر كلام وَرَدَ من الإمام أبي عمرو بن الصلاح (ت 643هـ/1245م)، مؤلف الكتاب الشهير في علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، مُفادُه أنَّ أول من صنف في الصحيح هو البخاري أبو عبد الله إسماعيل، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ/875م) وأن كتابهما أصحّ الكتب بعد كتاب الله العزيز. وأضاف الحافظ ابن حجر بأن "ما رويناه عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: "ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر من كتاب مالك"، ومنهم من رواه بغير هذا اللفظ؛ يعني بلفظ: "أصح من الموطأ"، فإنما ذلك قبل وجود كتابَي البخاري ومسلم. ثم أن كتاب البخاري أصح الكتابين وأكثرهما فائدة. وساق الإمام ابن حجر بعد ذلك حُجَجا كثيرة لدعم وجهة نظره في هذا الموضوع.[32]

[32]- المصدر السابق،

9- أطوار وأصناف تراجم صحيح الإمام البخاري

أفاد الحافظ ابن حجر بأن التراجم التي أوردها البخاري في صحيحه على أطوار وأصناف تَنْدَرِجُ في نِطاق مَا كان يَجدُه مناسبا لكل باب من أبوابها، ولو كان ذلك على وجه خفيّ، وملائم لشرطه. وأضاف بأن صيغة المصطلحات التي استعملها البخاري لموضوع صحيحه تتمحور حول عبارة "**حدثنا**" "وما قام مقام ذلك "و**العنعنة**"، بشرطها عنده وإن لم يجد فيه إلا حديثا **لا يوافق شرطه** مع صلاحيته للحُجَّة، فإنه يكتبه في الباب بطريقة مختلفة عن الصيغة التي يستخدمها فيما هو ملائم لشرطه. وخلص الحافظ ابن حجر إلى القول بأن الإمام البخاري يستعمل أحيانا، في ترجمة باب من أبواب صحيحه، لفظَ حديث ليس على شرطه ولا على شرط غيره ولكنه ممَّا يُستأنس به ويُقَدّمُه قومٌ على القياس، ثم يُورد في ذلك السياق إما آية من كتاب الله تشهد له برجحان الحديث، أو يأتي بحديث آخر يؤيد عموم ما دلّ عليه ذلك الحديث الخارج عن شرطه.[33]

[33]- المصدر السابق، ص 12.

10- التعريف بشرط الإمام البخاري ونقد رأي الحاكم

حدَّد الحافظ ابن حجر شرط البخاري في العبارات التالية: "شرط الإمام البخاري أن يُخَرِّجَ الحديثَ المتفق على **ثِقَةٍ** نَقَلَتِه إلى الصحابيّ المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعدا، فَحَسَنٌ. وإن لم يكن إلا رَاوٍ واحدٌ، وصَحَّ الطريقُ إليه كَفَى".[34]

واعتقد الحافظ ابن حجر بأن في هذا التعريف ما يتناقض مع ما ادَّعاه المحدِّثُ الشهير الحاكم أبو عبد الله، مؤلفُ كتاب المستدرك على الصحيحين (ت 405هـ/1014م)، ويتلخص في أن شرط البخاري ومسلم: "أن يكون للصحابي راويان فصاعدا، ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان إلى آخر كلامه، فمُنتَقَضٌ عليه بأنهما أخرجا أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم إلا راو واحد، انتهى".[35]

---

[34]- المصدر السابق، ص 13.

[35]- المصدر السابق، ص 13-14.

11- ضوابط تطبيق شرط الإمام البخاري

اعتقد الحافظ ابن حجر أن وجهة نظر المحدِّث الحاكم تدل على أنه لم يطلع على خبايا صحيح البخاري الذي يتضمن ما ينقض دعواه، وأفاد بأن الذي يخرج أحاديث صحيح البخاري يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار حال الراوي العدل في مشايخه العدول، ويتحرى الدقة في أحاديث هؤلاء الذين من الممكن أن يكون البعض منها **صحيحا ثابتا**، وأن يكون البعض الآخر **مدخولا**. وعملية التحرّي هذه معقدة جدا، ولهذا السبب، يجب أن يعرف من يقوم بها "طبقات الرواة عن الراوي الأصل، ومراتب مداركهم"، ومثال ذلك: "هو أن تعلم أن أصحاب الزهري مثلا على خمس طبقات، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها، فمن كان في **الطبقة الأولى**، فهو الغاية في الصحة؛ وهو مقصد البخاري. والطبقة الثانية شاركت الأولى في التثبت، إلا أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين ملازمة الزهري، حتى كان فيهم من يزامله في السفر ويلازمه في الحضر، والطبقة الثانية لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة، فلم تمارس حديثه، فكانوا في الإتقان دون الأولى...". وبناء على ما سبق،

أوضح الحافظ ابن حجر الطريقة التي كان الإمام البخاري يُطبِّق بها شرطَه بالعبارة التالية: "فأمَّا الطبقةُ الأولى فَهُمْ شرطُ البخاري، وقد يُخرجُ (البخاري) من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير استيعاب. أمَّا مسلم (مصنف الصحيح) فيُخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب، ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذي يصنعه البخاري في الثانية. وأما الرابعة والخامسة، فلا يعرجان عليهما". وأوضح الحافظ ابن حجر بأن "أكثر ما يخرج البخاري حديث الطبقة الثانية، **تعليقا**، وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا أيضا".[36]

12- أنواع تراجم صحيح الإمام البخاري وفوائدها

كرَّس الحافظ ابن حجر لتراجم صحيح البخاري بحثا مفصّلا قَدَّم فيه تفاصيل تتعلق بتنوُّع تراجم الجامع الصحيح وتَعَدُّدِها. وأكَّد أن التراجم تتضمن أنواعا بعضها **ظاهر** والبعض الآخر **خفي**؛ وأوضح بأن **الترجمة**

[36]- المصدر السابق.

الظاهرة تدل على أنها مطابقة على مضمون ما تترجمه، وأن فائدة الترجمة في هذا السياق هي الإعلام بما ورد في بابها دون الأخذ بعين الاعتبار مقدار وحجم الفائدة المذكورة، "كأنه يقول هذا الباب فيه كيت وكيت"؛ أي فيه كذا وكذا، "أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني مثلا". وأضاف بأن الترجمة قد تكون "بلفظ المترجم له أو بعضه أو بمعناه" مُوضحا بأن ذلك يحدث في الغالب إذا كان لفظُ الترجمة يحتمل لأكثر من معنى؛ أي لعدة معان. في مثل هذه الحالة، يقوم الإمام البخاري بتعيين واختيار معنى محتملا ومُحَدَّدا للفظ الترجمة يجده في حديث يضعه تحت تلك الترجمة. وإذا وقع الأمرُ، على عكس المثال السابق، "بأن يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة، فإن الإمام البخاري يعالج الترجمة لبيان التأويل المحتمل لمعنى الحديث، فيوضح مثلا، المعنى الخاص للحديث الذي له مدلول عام، أو المعنى العام للحديث الذي له مفهوم خاص، الخ. وأتى الحافظ ابن حجر بتفاصيل تتمحور حول التقنيات التي يستعملها البخاري في هذا الصدد، مثل "القياس لوجود العلة الجامعة، أو أن ذلك الخاص المراد به ما هو أعم، مما

يـدل عليـه ظـاهره بطريـق الأعلـى أو الأدنـى، ويـأتي فـي المطلـق والمقيـد، نظيـر مـا ذكرنـاه فـي الخـاص والعـام"، وأضـاف بأنـه يسـتعمل نفـس الأسـلوب "فـي شـرح المشـكل، وتفسـير الغـامض، وتأويـل الظـاهر، وتفصـيل المجمـل". وأكـد الحـافظ ابـن حجـر بـأن معظـم إشـكالية تـراجم صـحيح البخـاري تـدور حـول الأسـاليب التـي اسـتعملها فـي هـذا المجال.[37]

13- طـرق الاسـتنباط والاسـتدلال فـي تـراجم صحيح البخاري

أوضـح الحـافظ ابـن حجـر بـأن الإمـام البخـاري كـان يستنبط الفقـه مـن تراجمـه إذا لـم يجـد حـديثا علـى شـرطه فـي البـاب ظـاهرَ المعنـى فـي المقصـد الـذي تـرجم لـه هـذا البـاب. وبـيّن بـأن غـرض الإمـام البخـاري بعمليـة الاسـتنباط هـو "شـحذ الأذهـان فـي إظهـار مضـمره (البـاب) واسـتخراج خبيئتـه، وكثيـرا مـا كـان يفعـل ذلـك" مسـتعملا أحيانـا حـديثا تَقَـدَّمَ ذكـرُه فـي موضـع آخـر مـن الكتـاب، أو سـيذكره لاحقـا فـي موضـع مختلـف للكتـاب، "وكثيـرا مـا يتـرجم بلفـظ

[37]- المصدر السابق، ص 21-22.

الاستفهام، كقوله: "باب هل يكون كذا؟ أو من قال كذا؟ ونحو ذلك. وبرَّر الحافظ ابن حجر استعمال الاستفهام بوجود احتمالين للموضوع ولم يمل الإمام البخاري لأحدهما بشكل نهائي، ثم يقدم ترجمة للموضوع يعبّر عن الاحتمال الذي يتصف به والذي سيسعى إلى حسمه بالنفي أو الإثبات في استنباطه اللاحق. والنموذج الثاني الذي قدَّمه الحافظ لأسلوب الإمام في تراجمه، وهو أن يكون أحد المحتملين أظهر وأبرز، وغرضه في إلقاء الضوء على هذا النموذج هو أن يلفت الانتباه إلى أن "هناك احتمالا أو تعارضا يُوجب التوقف حيث يعتقد أن فيه إجمالا، أو يكون المدرك مختلفا في الاستدلال به". وأضاف الحافظ ابن حجر بأن الإمام البخاري "كثيرا ما كان يترجم بأمر ظاهره قليل الجدوى، لكنه إذا حقَّقه المتأملُ أجدى"، أي يجده كثير الجدوى.[38]

[38]- المصدر السابق، ص 21-22.

14- أسباب تقطيع الحديث واختصاره وفائدته في صحيح البخاري

بيَّن الحافظ ابن حجر بأن الإمام البخاري كان يذكر حديثا معينا في مواضع مختلفة، ويستدل بالحديث نفسه في أبواب متعددة مع ذكر إسناد آخر في كل باب يختلف عن الإسناد الذي ذكره في الباب الآخر. ويستخرج من الحديث المذكور معنى يتناسب مع الباب الذي أخرجه فيه، بفضل حسن استنباطه وغزارة فقهه. وأوضح الحافظ ابن حجر بأنه "قلما يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد"، وإنما يُورده بطرق مختلفة، فهو يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده، في موضع آخر، عن صحابي آخر. وبيّن الحافظ ابن حجر أن غرض الإمام البخاري في هذا التنويع هو إخراج الحديث المذكور عن حد الغرابة. وكثيرا ما يظن من يقف على ذلك ممن ليسوا متبحرين في علم الحديث بأن ذلك مجرد تكرار للحديث، "وليس كذلك، لاشتماله على فائدة زائدة". وفي هذا الإطار، قام الإمام البخاري بتصحيح أحاديث متنوعة "يشمل كل منها على معان متغايرة، فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى، ومنها أحاديث يرويها

بعض الرواة تامة، ويرويها بعضهم مختصرة، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقليها". وقد نقل الإمام البخاري أيضا أحاديث رواها بعضهم تامة، ورواها البعض الآخر مختصرة، فيوردها الإمام البخاري كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقليها. وقد نقل كذلك أحاديث ربما اختلفت عبارات الرواة؛ فحدث رَاوٍ بحديث فيه كلمةٌ تحتمل معنى، وحدث به آخر فعبَّر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه، ويفرد الإمام البخاري لكل لفظ الحديث **بابا مفردا**.[39]

وتطرَّق الحافظ ابن حجر إلى مسألة تقطيع الإمام البخاري للحديث تارة واقتصاره منه على بعضه تارة أخرى فيقوم به إذا كان متن الحديث قصيرا، أو مرتبطا بعضه ببعض مع اشتماله على حكمين فصاعدا. في هذه الحالة، يُعيد الحديث بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية؛ وهي إيراده للحديث عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك. وربما يتصرف في حديث ليس له فيه إلا طريق واحد، فيتصرف حينئذ

[39]- المصدر السابق، ص 22-24.

فيه، فيورده في موضع **موصولا**، وفي موضع آخر **معلقا**، ويورده تارة **تاما**، وتارة **مقتصرا**. وإذا كان متن الحديث مشتملا على جمل متعددة لا تعلُّق لإحداها بالأخرى، فإنه يُخرج كل جملة منها في باب مستقل، فرارا من التطويل. وأما اختصار الإمام البخاري على بعض المتن ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر، فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي، فيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع، ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه، كما وقع له في حديث هُزَيل بن شُرَحْبِيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: "إن أهل الإسلام لا يسيبون، وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون". هكذا أورده الإمام البخاري مختصرا من حديث موقوف أوله: "جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني أعتقت عبدا لي سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا، فقال عبد الله "إن أهل الإسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون، فأنت ولي نعمته فلك ميراثه، فإن تأثمت وتحرجت في شيء فنحن نقبله منك، ونجعله في بيت المال". وأوضح الحافظ ابن حجر بأن الإمام

البخاري اقتصر "على ما يعطي حكمَ الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله: "إن أهل الإسلام لا يسيبون"؛ لأنه يستدعي بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك الحكم، واختصر الباقي؛ لأنه ليس من موضوع كتابه. وأكد الحافظ ابن حجر بأن "هذا من أخفى المواضع التي وقعتُ له من هذا الجنس".[40]

الخاتمة

تُخوّل لنا النتائجُ التي توصلنا إليها أن نؤكّد بأن الحافظ ابن حجر ساهم إسهاما منقطع النظير في تقديم معلومات دقيقة وشاملة عن صحيح البخاري، تتمحور حول الهدف من تأليفه والمنهج الأصيل الذي استعمله مصنفُه، والشروط والضوابط التي التزم بها في إعداده، مع تقديم أدلة موَثّقة ومسندة تؤكد على أن صحيح البخاري من أصح ما أُلِّفَ في مجال الحديث النبوي الصحيح. ومن ناحية أخرى، تَمكَّن الحافظ ابن حجر، بفضل معارفه الواسعة والعميقة للحديث وعلومه وتراثه،

[40]- المصدر السابق، 25-27.

مِـنْ جَمْـع ودراسـة جميـع الأسـانيد الخاصـة بصـحيح البخـاري، واختيـار مـا اعتبـره أصـحَّ وأتـمَّ منهـا، ثـم اعتمـد عليـه فـي شـرحه وتفسـيره لجميـع جوانـب صـحيح البخـاري الـذي لـم تَفُتْـهُ فيـه شـاردةٌ ولا واردةٌ، وقـد أطنـب فـي ذلـك كـل إطنـاب، وبـالغ فـي دحـض آراء منتقـدي صـحيح البخـاري والـدفاع عـن مضـمونه، ولـم يقبـل علـى وجـه الإطـلاق أن يُظهـر أحـدٌ مثالـب وعيوبـا فـي هـذا التصـنيف، مهمـا كـان مقامُـه وعلـوُّ كعبـه فـي علـم الحـديث وتراثـه. لا ريـب فـي أن فـتح البـاري بشـرح صـحيح البخـاري عبـارة عـن موسـوعة ضـخمة لعلـم الحـديث ولتـراث السـنة النبويـة برمتـه ومصـدر إشـعاع دائـم لهمـا، لا غنـى ولا مندوحـة عنهـا لكـل مـن يريـد الإلمام بهما بطريقة سليمة وصحيحة.

المصادر والمراجع

-ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، 1986.

-البخاري أبوعبد الله إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 2002.

-البلاذري أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987.

-السخاوي محمد بن عبد الرحمن، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، دار ابن حزم، بيروت، 1999.

-السيوطي جلال الدين والترمسي الشيخ محمد محفوظ، منهج ذوي النظر، شرح منظومة علم الأثر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

-العراقي أبو الفضل عبد الرحيم، ألفية العراقي المسماة ب التبصرة والتذكير في علوم الحديث، تحقيق العربي الدائر الفرياطي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1428.

-العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2013.

-القسطلاني أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، 2021.

-الكوهن محمد بن قاسم، طبقات الشاذلية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

-خشيم علي فهمي، أحمد زروق والزروقية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.

-عبد الستار الشيخ، الحافظ ابن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث، دار القلم، دمشق، 1992.